كلية : الآداب

القسم او الفرع : / قسم الاجتماع

المرحلة: المرحلة الثانية

أستاذ المادة : أ. م . د . وفاء كاظم علي

اسم المادة باللغة العربية : المجتمع العراقي

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Iraqi Society

اسم المحاضرة التاسعة باللغة العربية: الشخصية العراقية في رأي الطاهر

اسم المحاضرة التاسعة باللغة الإنكليزية: The Iraqi character in the opinion of Al-Tahir

محتوى المحاضرة التاسعة

الشخصية العراقية في رأي الطاهر

لم تكن للدكتور الظاهر دراسة مستقلة عن الشخصية العراقية ، بل أن كل ما كتبه من آراء وتقييمات كانت عبارة عن رد فعل متأخر لكتابات الاجتماعي المعروف الدكتور علي الورد في هذا الخصوص حيث ظهر رد فعله عام ١٩٦٥ و ١٨٧١ بينما ظهرت كتابات الوردي

حول الشخصية العراقية في منتصف الخمسينات وهذا يعني ان هذا الموضوع لم يكن من اهتماماته الفكرية او البحثية الأساسية ولأنه لم يمتلك المعلومات الكافية لسبر غور مثل هذا الموضوع الحيوي لذلك أوقع نفسه بالمطب نفسه الذي حاول ان يستخدمه لنقد الوردي فلم يقدم للباحث الاجتماعي العراقي او العربي أساسا يضيفه في بناء هذه الدراسة .

واجد من المفيد الالماح لكتابات الوردي في هذا المقام الكي يعرف القارئ ما جاءت به ويرى الوردي ان الشخصية العراقية تخضع لمؤثرات صراع البداوة والحضارة معا في سماتها الثقافية الامر الذي خلق فيها تناشزا اجتماعيا ممثلا بتناقض – القيم العرقية ـ العصبية (خاصة بالقرابة والجيزة والنخوة والديانة وحق الزاد والملح) مع المبادئ الحضارية (مثل مبادئ ، المساواة والعدالة والديمقراطية والحرية والوطنية) الذي بدوره جعل الشخصية العراقية مزدوجة في سلوكها بشكل متناقض دون ان تشعر او تعرف به بحيث تتأثر بنظامين متناقضين من القيم والمبادئ ، فهي تتأثر بأحد النظامين تارة و بالأخرى تارة اخرى » . اما **الظاهر فقد وصف الشخصية العراقية بانها متقوقعة وقلقة في آن معا " وقد وضع ثلاثة مظاهر** لها هي : -

١- ان الانتماء القوقعي المتحجر إلى الأسرة أو المحلة أو القبيلة او الطبقة او الطائفة وغيرها الانتماءات الجزئية المقطعية تجر وجدان العراقي جرا غير متناسق الى بؤر ولائية مليئة بالمياه الأسنة من الأحقاد تختلف في عفويتها وعمقها تؤدي الى تصدع البناء النفسي للشخصية والبناء الاجتماعي للمجتمع » :

نبدي استغرابنا من هذا الحكم اللاموضوعي لأن من أساسيات انتماء الفرد للمجتمع ان يكون منتميا لأسرة أنجبته بيولوجيا وتعيش في منطقة معلومة الإبعاد - جغرافيا وتنتمي إلى مجموعة أسر تمثل العشيرة أو

القبيلة وغيرها من الانتماءات الجزئية القطعية التي تربطه بالمجتمع الكبير ، والفرد العراقي لكي يحصل على مواطنته العراقية يجب أن يكون من أب وام عراقيين بالولادة ويعيشون على ارض عراقية ومن الطبيعي ان يكون لهذه الأسرة ارتباطاتها وانتماءاتها العشائرية والطبقية والدينية وهذه إحدى أساسيات الطبيعة البشرية وتماثله معها وتعلقه بها أمر طبيعي جدا ولا يمثل انتماء قوقعيا متحجرا بل ارتباطا طبيعيا بالأسرة والمجتمع المحلي والعام وهذا هو أحد أسباب خلو المجتمع العراقي من البؤر الولائية المليئة بالمياه الآسنة من الأحقاد . لو افترضنا جدلا بانه فعلا ان الوجدان العراقي مجرورا جرأ لمثل هذه البؤر فهل يعقل ان يبقى هذا الوجدان قائما لحد الآن دون انهيارات بنائية ؟

١- ان لشخصية الفرد العراقي مظهرا تاريخيا وحضاريا يرمز ويعبر من نموذج المجتمع في

من مرحلة الى اخرى مرحلة تاريخية وحضارية معينة – أي ان مركز الثقل ن الشخصية تختلف في اهتماماتها من مرحله الى اخرى .

١ -أن لشخصية الفرد العراقي مستويات ، وإطارات مختلفة من العلاقات .

من هذه المظاهر الثلاثة تتألف لدينا صورة مترابطة الأجزاء من الشخصية والمجتمع ولعل أول ما يسترعي اهتماما في الشخصية العراقية مظهران أساسيان هما :

١ – القوقعية و ٢- القلق ، أن المظهر الثاني والثالث لا يؤديان الى القوقعة أو القلق لانهما يوضحان تفاعل الشخصية بشكل مستمر مع الحدث التاريخي والحضارة وانها ليست بجامدة او متقوقعة لأن مركز ثقلها يختلف في اهتماماتها من م مرحلة تاريخية وحضارية الى اخرى- كما ذكر في المظهر الثاني – وفي الوقت ذاته لها مستويات واطارات مختلفة في العلاقات والارتباطات –المظهر الثالث- فالشخصية السوية هي التي تحقق استمرارية التفاعل مع المؤثرات التاريخية والحضارية المحيطة بها والافراد الذين تعيش في وسطهم فكيف اذن يكون هذان المظهران قلقا وتقوقعا في الشخصية؟ فضلا عن ذلك فأن المظهر الاول للشخصية العراقية يتعارض كليا في منطقه وفكره مع منطق وفكر المظهرين اللحقين ، فالتناقض يكمن في تحديد الباحث لمظاهر الشخصية وليس في الشخصية العراقية .

اما اسباب القلق في الشخصية العراقية فيرجعها الطاهر الى الاسباب الآتية :

١- صراع انتماءات العراقي المتعددة كالأسرة والمحلية والقبلية والطبقية والطائفية حيث يشعر الفرد في العراق الذي ينتمي إلى هذه الولاءات القوقعية ـ بالطمأنينة وبالولاء العميق داخل إطار تلك القوقعة بينما

يتبادل العلاقات السطحية المؤقتة الطارئة خارج ذلك الإطار. لم نجد أي توضيح لوجه واحد من أوجه الصراع في هذا السبب فانتماءات العراقي وقبيلته وطائفته) وعلاقته البينية رأي بين أفراد المجتمع العام التي تتسم بالسطحية والمؤقتة) وهذا شيء لطبيعي في كل المجتمعات الإنسانية . ان هذا السبب لا يؤدي الى الصراع ولا يؤدي الى القلق - ابدا - بل الى الاستواء وتنمية الروح الجماعية الحميمة التي تؤدي الى التضامن الاجتماعي وليس الى الصراع الاجتماعي

٢- نقل الولاءات القوقعية القديمة الى الحركات السياسية والاجتماعية والثقافية . لقد أظهر تاريخ الحركات السياسية والاجتماعية والثقافية صحة هذه الفرضية لأن العراقيين يتوزعون في انتماءاتهم توزيعا . يتأثر بالرواسب القوقعية العالقة في وجدانهم بل انهم نقلوا الولاءات القوقعية القديمة الى الحركات وتوزعوا بينها بمقدار ما تتصل تلك الحركات .

ببناء القواقع الولائية القديمة. السؤال الذي يتبادر الى الذهن هو هل يصح للمنتمي الى حركة سياسية بدافع الانتماء الاسري او المحلي او القبلي او الطبقي أن يكون قلقاً ؟ لاسيما أن الانتماء الأسري والسياسي يولد الاستواء الشخصي والوعي السياسي والنضج الاجتماعي . ان هذا السبب يفتقر إلى دليل منطقي وواقعي لأن الحركات السياسية – كل العالم - لها أهداف وغايات تعبر عن المصلحة العامة ، ولكل فرد أهداف وغايات تعبر عن مصلحته ، وقسم منها تتقارب مع ا أهداف حركة معين والقسم الآخر يبتعد عنها ومن الجائز جدا أن يكون داخل الأسرة الواحدة و المحلة الواحدة او العشيرة الواحدة او الطبقة الواحدة عدة انتماءات سياسية وقد وجدنا ذلك في مجتمعنا بشكل واضح ، فكيف تستطيع ظاهرة الولاء او قوقعة الولاء يكاملها نقل إفرادها كافة إلى حركة سياسية واحدة ١ أين الإسناد التاريخي لهذه النقلة الولائية القوقعية ؟ فضلا عن ذلك - ألم يكن للفرد العراقي وعي من مناسب وثقافة عامة وخاصة تحدد انتماءه السياسي ؟ وهل تقبل الحركة السياسية أن تعبر عن مجموعة افراد ينتمون إلى أسرة واحدة او نحلة واحدة أو عشيرة واحدة ؟

٣- عدم ثبات معلم الولاءات في وجدان الشخصية العراقية : ((يؤلف العراقي في وجدانه تأليفا متناقضا ومتحركا سلما من الولاءات التي تتغير على درجات السلم في حركة دائبة من الصعود والهبوط فهو مرة يضع الأسرة أو القبيلة أو المحلة أو المدينة ومرة أخرى يضع الطائفة او الطبقة فوق كل اعتبار ويرتبط بكل ولاء دور معين يقوم به الفرد العراقي فتتحد خطوط حياة الفرد العراقي اليومية بحدود تلك القواقع الولائية فيها يولد ويترعرع ويكبر وفي إطارها يتزوج ويربي أطفاله وفيها يموت ويحفر قبره ، لو أخذنا

بهذا السبب فانه لا يؤدي الى – القلق ولا يعبر عنه لأنه يشير إلى الحركة الدائبة في الاتصال والتفاعل المستمر مع شرائح المجتمع كافة وغير متقوقع في انتماء اجتماعي واحد وان . وجدانه متكامل مع الانتماءات الاجتماعية كافة وليس متناقضا لانه انتمى اليها يحكم قراره ، وارتبط بها عضويا واجتماعيا وهذا لا يؤدي الى تناقض في ارتباطاته ولا تغرس التناقض في وجدانه لعدم تناقضها بل انسجامها ..

٤- الانعزال الاجتماعي : « تعزل القواقع أبناء المجتمع الواحد عزلا افقيا وراسيا لأنها بذرت في وجدانها فيهم بذورا من التحيزات والتعصبات التي هشمت المجتمع الى اجزاء متهاوية قشريا وسطحيا ومتناقضة في الاعماق وكثيرا ما يحدث أن يقفز الفرد من مستوى قوقعي الى مستوى .

اخر حتى صار من الصعب حقا معرفة نقاط الانتماء والتشابك ونقاط الانطلاق .. وكان حصيلة ذلك الواقع الموضوعي القلق أن تعايشت في وجدان الشخصية العراقية مستويات مختلفة من الحرمان والتذمر والقلق تؤثر في توجيه السلوك واتخاذ المواقف .

اللافت للنظر هذا السبب فقدان الصورة المنطقية ـ الواقعية المنسجمة فيه ، فهل يعقل أن يكون المعزول اجتماعيا والمتعصب لانتمائه الاجتماعي الذي يتناقض مع انتماءات اجتماعية اخرى ان يقفز من انتماء الى آخر بحيث يصعب معرفة نقاط انتمائه ؟ أين الاستاد الواقعي ؟ واين وجدة الصورة ؟ انه ان مثل هذا التشخيص السببي غير وارد في الدراسات الاجتماعية الكلاسيكية او المعاصرة لعدم دقته وتناقضه وصعوبة تصديقه لابتعاده عن الواقعية الاجتماعية ولفقدان الادوات المنهجية المستخدمة في الدراسة .